بسمارك والدين (*

معربة عن الفرنسوية بقلم الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده الشهير قال حفظه الله

رأيت في وقائع بسمارك التي نشرت بعد موته بقلم كاتم أسراره موسيو بوش كلاما جاء به البرنس وهو على مائدة الطعام مع جلسائه يتعلق بالدين فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه من لم يمن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يعدون النسبة الى دينهم سبة، والظهور بالمحافظة عليه معرّة ، وليعلموا أن الايمان بالله و بالوحي الآتي الى أنبيائه ليس مناقضا لحرية الفكر، ولا مانعا من صحيح العلم، ولا عيا في الرياسة، ولا ضعفا في السياسة

جلس البرنس بسمارك على مائدة الطعام فرأى نقطة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه «كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هناك أمل في الاجر والمكافأة ، ذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان ، ذلك لما يشعر به كل أحد من ان واحدا مهما يراه وهو يجالد و يجاهد و يموت وان لم يكن قائده يراه » فقال بعض المرتابين « اتظن سعادتكم أن العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة » فأجابه البرنس

ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان، هو بوادر سبق الفكر، هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها ، ولو أنهم لاحظوا لفقدوا ذلك الميل وأضلوا ذلك الوجدان، هل تعلمون اني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات أو كيف يحملون غيرهم على اداء ما يجب عليه ان لم يكن لهم ايمان بدين جاء به وحي سماوي واعتقاد بإله يحب الخير وحاكم يقتضي

(*) فاتحة العدد ٤٤ المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١٣١٦ ـ ٢١ يناير (ك٢) ١٨٩٩

اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة » ثم ساق الوزير كلامه على هذا النمط بأسلوب آخر فقال

«لو نقضت عقيدتي بديني لم أخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان . اذا لم أضع ثقتي في الله لم أضعها في سيد من أهل الارض قاطبة. لكن انظروا الي تجدوني قد ملكت من موارد الرزق مايكفيني واوتيت من المناصب مالا مطمع بعده فلماذا اشتغل ؟ ولم أجهد نفسي في العمل ؟ ولم أعرضها للهموم والآلام ؟؟ لا يمشي على شيء من هذا الاشعور ي بأني في جميع ذلك أعمل عملي لوجه الله . ولو لم يكن لي إيمان بالعناية الالهية التي قضت بأن يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير وأرقى الخير عظيم لطرحت لساعتي ماحمله من اثقال وظائف الحكومة . ماذا أقول؟ بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئا من هذه الوظائف لان الرتب والالقاب لا بهاء لها في نظري . لولا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، ولو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا . نعم أنا جمهوري بالفطرة، يتبين ذلك من العادات التي أشتها على هنات « خصال الشر » رجال الحاشية من مدة [illegible] عشر سنين . من هنا يظهر أن إيماني قد بلغ من القوة أعلاها حتى حملني [illegible] ملكيا . سلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني . اعلموا انني لو لم أكن مسيحيا مخلصا لم يكن لكم وزير كبير مثلي يدبر أمر الاتحاد الالماني . لو لم أكن مخلصا في ديني لوليت ظهري جميع الحاشية، ولو وجدتم لي في الغد خلفا يكون أخلص مني في يقينه لانفلت من المنصب في الحال . ما أعظم مسرتي بهجر الوظائف لو تعلمون . إني أحب المعيشة في القرى والحقول ، أحب الآجام ومناظر الخليقة . إنزعوا مني هذه الرابطة التي تصلني بالله تجدوني من الغد رجلا يأخذ أهبته للسفر الى «واورزين» ليشتغل بحراثة أرضه وتنمية غرسه . ان لم أكن خاضعا لامر الهي فلم أضع نفسي تحت طاعة هذه العائلة المالكة مع انها تتصل بأصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل الذي تتصل به عشيرتي »

هذا كلام بسمارك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم كان يعتقد ان عظائم أعماله انما كانت من مظاهر ايمانه وان الاعتقاد بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان طار بهما الى مالم يدركه فيه مفاخر ولم يكثره مكاثر

الجزية والاسلام

« رسالة لشمس العلماء الشيخ شبلي النعماني استاذ العلوم العربية في مدرسة العلوم في عليكده (الهند) »

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين - والصلاة على رسوله محمد وآله وأصحابه اجمعين

اعلم ان الجزية من اعظم ماتعلق به الاوروباويون في القدح على الشريعة الاسلامية والحط من شأنها فمن ظان يظن ان الجزية لم يكن لها عين ولا أثر في جيل من الاجيال ودولة من الدول وانما الشريعة الاسلامية هي التي أحدثت هذه البدعة وأسست بنيانها وبينت لها أصولها وأركانها ومن زاعم يزعم ان وضع هذه القاعدة لم يكن الا اذلالا لأهل الذمة واهانة لهم فهي آية الصغار وسمة الهوان وشعار الخزي وعلامة العار حتى انه لا يحل لكثير من الاقوام الدخول في الاسلام هو باعث احتمال الضيم والرضاء بالذل. ولاجل هذا ترى الاوروباويين اذا قرع سمعهم هذا اللفظ يمجه سمعهم وتشمئز منه نفوسهم. والحق انهم غير ملومين في ذلك فان من أحاط علما بنصوص المتأخرين من الفقهاء يستبين له في أول الامر ان وضع أمثال هذه الرسوم أقصى مايقصد به اذلال قوم وارغام أنفهم مع ان الشريعة الاسلامية أبعد محلا وأرفع شأنا من ان يمسها عار أو يلحقها عيب وأبى الله الا براءتها عن كل جور وحيف

ولما رأيتهم يتهافتون في أمثال هذه الاغلاط أردت أن أكشف لهم عن جلية الحال حتى لا أترك لنفسهم ريبه ولا شكا . فنقول ان لنا في اثبات دعوانا ابحاثا . «الاول» في تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته، «الثاني» في تحقيق ان الجزية متى كان حدوثها ومن أسسها أولا «الثالث» في تحقيق الغرض الذي كان سببا لاختيارها في الاسلام

(الاول) لم يتعرض الجوهري ولا المجد لبيان أصله واشتقاقه . وقال بعضهم «وهم

ليسوا ممن يثبت بهم اللغة » الى انه مشتق من الجزاء بناء على انها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه وهذا مااختاره الزمخشري في تفسيره اما العارفون بلغة الفرس فأطبقوا على ان اللفظ فارسي محض وان أصله كزيت وان الجزية انما هي تعريب له واستشهدوا في ذلك بورود هذا اللفظ كثيرا في كلام شعرائهم على زنته الأصلية . قال الحكيم سوزني

كتاب خويش نخوانيم وزو عمل نكنيم كه تا كزيت ستانند خودز أهل كتاب

وقال النظامي

كهش قيصر كزيت دين فرستد كهش خاقان خراج چين فرستد

ونقول لما ثبت من تصريحاتهم «وهم أعرف بلسانهم » أنها فارسية فاما ان يقال انها عربية أيضا كما هو شأن توافق اللغات وذلك احتمال بعيد لايلجأ الى أمثاله الا عند ضرورة محوجة، و إما أن يقال إنها فارسية الأصل وانما سبيلها في تداوله عند العرب سبيل الدعي والدخيل في القوم . وهذا الاحتمال تعضده قرائن وأمارات منها أن العرب خالطوا العجم قديما وعاشروهم فأغاروا على جانب عظيم من الفاظهم واستباحوها وتصرفوا فيها كيف ماشاؤا ولعبوا بها كل ملعب

وذلك كالكوز والابريق والطست والخوان والقصعة وغيرها مما أحصاها الثعالبي في كتابه فقه اللغة . فليس من المستنكر أن تكون الجزية أيضا من جملتها

ومنها ان العرب كانوا قبل الاسلام أصحاب البؤس والشقاء رعاة الابل والشاء ماملكوا أرضا ولا استعبدوا قوما . فلم يتفق لهم وضع الالفاظ بإزاء المعاني التي هي من مختصات المدنية والعمران ولذلك لاتجد في كلام العرب العرباء ألفاظا تقوم مقام الوزير والصاحب والعامل والتوقيع والدست وغيرها ولما كانت الجزية أيضا من خصائص المملكة كفوا مؤنة وضع لفظ بإزائها . ومنها ان الحيرة (وكانت منازل آل نعمان) كانت تدين للعجم وتؤدي اليهم الاتاوة والخراج . ولما كان كسرى أنوشروان هو الذي سن الجزية أولا كما نبينه فيما سيأتي يغلب على الظن ان العرب أول ماعرفوا الجزية في ذلك العهد وتعاوروا اللفظة العجمية بعينها . ومن مساعدة الجد أن اللفظ كان

زته زنة العربي فلم يحتاجوا في تعريبه الى كبير مؤنة بعد ما أبدل كافها جيما صارت كأنها عربي الاصل والنجار، ومع هذه كلها فان هذا البحث لا يهمنا ولا يتعلق به كبير غرض فان اثبات ما نحن بصدده لا يتوقف على الكشف عن حقيقة اللفظ فنحن في غنى عن اطالة الكلام وإسهابه في أمثال هذه الابحاث

(الثاني) أول من سن الجزية فيما علمنا كسرى أنوشروان وهو الذي رتب أصولها وجعلها طبقات . قال الامام العلامة المحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجزية : وألزموا الناس ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرازبة والكتاب ومن كان في خدمة الملك وصيروها على طبقات اثنى عشر درهما وثمانية وستة وأربعة بقدر إكثار الرجل أو إقلاله ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السن دون العشرين وفوق الخمسين »

ثم قال « وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس » وقال المؤرخ الشهير أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (وهو أقدم زمانا من الطبري) في كتابه الاخبار الطوال في ذكر كسرى أنوشروان « ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك ، ولم يلزم أحدا لم تأت له عشرون سنة أو جاوز الخمسين » وقريب من هذا ما ذكره شاعر العجم ولسانهم فردوسي في كتابه شاهنامه

همه بادشاهان شدند انجمن ... زمين را بسنجيدو بوزدرسن
كزيتي نهادند بريك درم ... كرايدون كه دهقان نبودي درم
كزيت زبارور شش درم ... بخراستان برهمين زد رقم
كسي كش درم بودو دهقان نبود ... نبودي غم ورنج كشت ودرود
كزارنده اذده درم تاجهار ... بسالي ازويستدى كاردار
دبير وپرستنده شهريار ... نبودي بديوان كسي واشيار

ومن وقف على هذه النصوص يظهر له ان الجزية مأثورة من آل كسرى وان الشريعة الاسلامية ليست بأول واضع لها وان كسرى رفع الجزية عن الجند والمقاتلة وان عمر بن الخطاب اقتدى بهذه الوضائع

أما المعنى الذي توخاه كسرى في هذا الاستثناء فبينه العلامة ابن الاثير في كتابه الكامل ناقلا عن كلام كسرى فقال: ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء لاهل العمارة وأهل العمارة أجراء المقاتلة فانهم يطالبون اجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم عن ورائهم فحق أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة في النفس والمال لاتتم إلا بهم ورأيت ان المقاتلة لايتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج مايقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم مايقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين؟

وحاصله انه يجب على كل فرد من أفراد الملة المدافعة عن نفسه وماله فمن كان يقوم بهذا العبء بنفسه فليس عليه شيء — وهؤلاء أهل الجند والمقاتلة — وأما من كان يشغله أمر العمارة وتدبير الحرث عن المخاطرة بالنفس فيحق عليه ان يؤدي شيئاً معلوما في كل سنة يصرف في وجوه حمايته والدفاع عنه — وهذا هو المعنى بالجزية فانها تؤخذ من أهل العمارة وتعطى للمقاتلة والجند الذين نصبوا أنفسهم لحماية البلاد واستتباب وسائل الأمن والسلامة لكافة العباد — (البقية بعد)

الاختلاف والتفرق في الدين

ذكرنا في عدد سابق ان تقصيرات العلماء التي وصلت بنا الى ما نحن فيه اليوم عشرة ووعدنا بالكلام عليها تفصيلا في مقالات متعددة وأهمها أولها في الذكر وفي سوء التأثير وهو التفرق في الدين واختلاف المذاهب في أصوله بالاخص ولما كان هذا يحتاج الى شهادة التاريخ رأينا أن نذكر بعض الوقائع التاريخية في الموضوع لما فيها من الفائدة والاعتبار ولرغبة النفوس في الاطلاع عليها وعنايتها بقراءتها . وها نحن اولاء نقرأ في أولها هذه الواقعة التي وقعت في مثل هذا الشهر المبارك على انها من أهون الوقائع وهي

(الواقعة الأولى) لما اتصل بالملك الاشرف موسى ابن الملك العادل في دمشق (قبل خروجه الى مصر) ماعليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام من العلم والدين وانه سيد

أهل عصره وحجة الله على خلقه أجمع وصار يلهج بذكره و يؤثر الاجتماع به والشيخ لايجيب الى الاجتماع به وكانت طائفة من مبتدعة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت ممن أحبهم السلطان في صغره يكرهون الشيخ و يطعنون فيه وقرروا في ذهن السلطان الاشرف ان الذي هم عليه اعتقاد السلف واعتقاد أحمد ابن حنبل وفضلاء أصحابه واختلط هذا بلحم السلطان ودمه وصار يعتقد ان مخالفه كافر حلال الدم . ولما مال السلطان الى الشيخ عز الدين دست اليه هذه الطائفة ان الشيخ أشعري العقيدة يخطىء من يعتقد الحرف والصوت ويبدعه ومن جملة اعتقاده أن يقول بقول الاشعري ان الخبز لايشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق . فاستهول ذلك السلطان واستعظمه ونسبهم الى التعصب عليه فكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأوصلوها اليه مريدين أن يكتب عليها فيسقط وصفه عند السلطان وكان الشيخ قد اتصل به ذلك فلما جاءته الفتيا قال هذه الفتيا كتبت امتحانا لي والله لا أكتب فيها الا ما هو الحق فكتب العقيدة المشهورة فلما فرغ منها رماها اليهم وهو يضحك عليهم فطاروا بالجواب وهم يعتقدون أن الحصول على ذلك من الفرص العظيمة التي ظفروا بها ويقطعون بهلاكه واستباحة دمه وماله فأوصلوا الفتيا الى الملك فاستشاط غضبا وقال صح عندي ماقالوه عنه وهذا رجل كنا نعتقد انه متوحد في زمانه في العلم والدين و يظهر بعد الاختبار أنه من الفجار لا بل من الكفار وكان ذلك في رمضان عند الافطار وعنده على سماطه عامة الفقهاء من جميع الاقطار فلم يستطع أحد منهم أن يرد عليه بل قال بعض أعيانهم السلطان أولى بالصفح ولا سيما في مثل هذا الشهر وموه آخرون بكلام موجه يوهم صحة مذهب الخصم يظهرون أنهم يوافقه (انظر الى علماء السوء وفقهاء الضلال كيف استعبدوا للسلاطين وأغضبوا الحق لارضائهم فضاع بهم الدين) فلما انفصلوا تلك الليلة من مجلسه بالقلعة اشتغل الناس في البلد بما جرى في تلك الليلة عند السلطان وأقام الحق سبحانه وتعالى الشيخ العلامة جمال الدين أبا عمرو بن الحاجب المالكي وكان علم مذهبه في زمانه وقد جمع بين العلم والعمل فتكلم في هذه القضية ومضى الى القضاة والعلماء الاعيان الذين حضروا هذه القضية عند السلطان وشدد عليهم النكير . وقال العجب انكم كلكم على الحق وغيركم على الباطل ومافيكم من نطق بالحق وسكتم

وما انتصرتم لله تعالى وللشريعة المطهرة ولما تكلم منكم من تكلم قال السلطان أولى بالعفو والصفح وهذا غلط يدهم الذنب فان العفو والصفح لا يكونان الا عن جرم وذنب هلا أعلمتم السلطان بأن ماقاله ابن عبد السلام مذهبكم ومذهب أهل الحق وان جمهور السلف والخلف عليه لم يخالفهم فيه الا طائفة مخذولة يخفون مذهبهم ويدسونه على تخوف الى من يستضعفون علمه وعقله وقد قال تعالى «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» ولم يزل يمتنهم ويوبخهم الى أن اصطلح معهم على أن يكتب فتيا بصورة الحال ويكتبوا فيها بموافقة ابن عبد السلام فوافقوه على ذلك وأخذ خطوطهم بموافقته

والتمس ابن عبد السلام من السلطان عقد مجلس للشافعية والحنابلة وبحضرة المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين وذكر انه يعتقد ان السلطان اذا ظهر له الحق يرجع اليه ويعاقب من قوى الباطل عليه وانه أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل تغمده الله برحمته وانه عزر جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة وانه أخذ خطوط الفقهاء الذين كانوا بمجلس السلطان في ذلك الوقت

فلما وقف السلطان على ذلك أجابه كتابة بجواب يذكر فيه انه رأى من عقيدته مايغنيه عن الاجتماع به وانه (أي السلطان) يتبع ماعليه الخلفاء الراشدون وذكر فيه ماإذا كان الشيخ يدعي الاجتهاد . فأجابه الشيخ بجواب مطول يصدع فيه بالحق فاستشاط السلطان غضباً وأمر أن لايفتي الشيخ ولايخرج من بيته وأن لايجتمع بالناس ففرح الشيخ لما بلغه ذلك فرحا شديدا وقال لرسول السلطان لو كان عندي خلعة تليق بك لخلعت عليك ولكن خذ هذه السجادة فصل عليها ونحن على الفتوح فقبلها وقبلها (وكان الرسول يعتقد صلاح الشيخ) ولما ذكر للسلطان مادار بينه وبين الشيخ قال لمن حوله قولوا لي ما أفعل به هذا رجل يرى العقوبة نعمة اتركوه بيننا وبينه الله وبقي الشيخ على هذا ثلاثة أيام

ثم ان الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية في زمانه وكان قد جمع بين العلم والعمل ركب حماره وحوله أصحابه وقصد السلطان فتلقاه خاصته وأدخلوه الى دار الملك راكبا كما أمرهم ولما رآه السلطان مشى اليه وأنزله عن حماره واكرم

مثواه وكان ذلك في رمضان قريب غروب الشمس فلما صلوا المغرب احضر السلطان قدح شراب وناوله الشيخ فقال له الشيخ ماجئت الى طعامك ولا الى شرابك فقال له السلطان ديرسم الشيخ ونحن نمتثل مرسومه فقال له ايش بينك وبين ابن عبد السلام. هذا رجل لوكان في الهند او في اقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان ان يسعى في حلوله في بلاده لتتم بركته عليه وعلى بلاده ويفتخر به على سائر الملوك فقال السلطان عندي خطه باعتقاده في فتيا وخطه ايضا في رقعة سيرتها اليه فيقف الشيخ عليهما ويكون الحكم بيني وبينه ثم احضر السلطان الورقتين فقرأهما الشيخ الى آخرهما وقال هذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين وكل مافيهما صحيح ومن خالف مافيهما وذهب الى ماقاله الخصم من اثبات الحرف والصوت فهو حمار فقال السلطان نحن نستغفر الله مما جرى وتستدرك الفارط في حقه وقال لاجعله أنفي الفقهاء وأرسل الى الشيخ واسترضاه وطلب محالته ومخالته

وكان الحنابلة قد استنصروا به على أهل السنة وعلت كلمتهم عليهم بل صاروا يسبونهم ويقصرونهم فأمر السلطان الفريقين بالامساك عن الكلام في مسألة الكلام وان لايفتي فيها أحد سدا لباب الخصام فانكسرت نفوس المبتدعة بعض الانكسار وفي النفوس مافيها ولم يزل الامر على ذلك حتى قدم السلطان الملك الكامل من مصر الى دمشق وكان اعتقاده صحيحا ومتعصباً لاهل الحق فاستقصى ماوقع في المسألة وقال للملك الاشرف ياخوند ماذا صنعت في أمر الشافعية والحنابلة فقال ياخوند منعت الطائفتين من الكلام وانقطع بذلك الخصام فقال الملك الكامل دواللهمليح ماهذه الا سياسة وسلطنة تساوي بين أهل الحق والباطل وتمنع أهل الحق من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يظهروا دين الله وأن يشنق من هؤلاء المبتدعة عشرون نفسا ليرتدع غيرهم وأن يمكن الموحدون من ارشاد المسلمين وان يبينوا لهم طريق المؤمنين. فعندذلك زلت اعناق المبتدعة وانقلبوا خائبين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال على يد الملك الكامل وانقشعت المسألة للملك الاشرف وصرح بخجله وحيائه من الشيخ وقال لقد غلطنا في ابن عبد السلام غلطة عظيمة وصار يترضاه ويعمل بفتاويه ويقرأ مصنفاته

آثار علمية ادبية

(شكوى الزمان)

ذكرنا في عدد سابق انا روينا في الاحاديث والآثار المسلسلة ان عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها كانت تنشد قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وتقول « رحم الله لبيداً فكيف لو رأى زماننا هذا » ويتلو هذا البيت بيتاً آخر روى انها كانت تنشده أيضاً وهو

يتأكلون مغالة وخيانة   ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

ويروى ان اعرابياً قال لابن عباس (رض) أي حسمت عائشة تذم دهرها وهي تتمثل بيتي لبيد فقال ابن عباس لئن ذمت عائشة دهرها لقد ذمت عاد دهرها قبل وجد في خزائن عادسهم مفوق كاطول ما يكون من رماحنا واذا عليه مكتوب

ألبس الى اجياد صبح بذي اللوى   لوى الرمل فاعذر للنفوس معاد

بلاد بها كنا وكنا نحبها   اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وعن ابن أحمر قال كنا عند أبي نعيم فذكروا قول لبيد فقال أبو نعيم

ذهب الناس واستقلوا فصرنا   خلفا في أراذل النسناس

من أناس نعدهم من عديد   فاذا كوشفوا فليسوا بناس

كلما جئت ابتغي النيل منهم   بدروني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حتى تمنيت اني   عند هذا خلصت راساً براس

(النسناس) بفتح النون وكسرها حيوان على شكل الانسان هكذا يذكر في معاجم اللغة والعامة تسمى به نوعاً من القردة فاذا كان يوجد حيوان أقرب الى الانسان من القرد وكان هو المسمى بالنسناس فلعله إذا اكتشف عليه حيا أو ميتا

متحجرا يكون هو الحلقة المفقودة التي يتوقع الظفر بها أهل مذهب النشوء ونحن معاشر المليين نقول ان الانسان خلق ابتداء على صورته هذه سواء وجدت تلك الحلقة أم لم توجد . وروي ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ذهب الناس وبقي النسناس . قيل وما النسناس قال الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس

وفي كتاب تفضيل الكلاب بعد ذكر بني لبيد قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد النحوي قال ذكر لي بعض المشايخ قال كنت عند بشر بن الحارث عشية فرأيته مغموما فما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم   بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشدنا أيضا غيره

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا   سروا وقالوا مرحبا بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا   عبسوا وقالوا ليته لم يقبل

(وقال آخر)

ذهب الذين اذا غضبت تحملوا   واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها   واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

قال وأنشدني أبو عبد الله الدستوائي

ذهب الذين هم الغياث المنزل   وبقي الذين هم العذاب المرسل
وتقطعت أرحام أهل زماننا   وكأنما خلقت وليست توصل
الناس منقبضون من كشفته   كشفت منه عن الذي لا يجمل
أما الفقير لحاسد متغطر   حسدا وأما ذو الثراء فيبخل
ويظن أنك له بكثرة ماله   فضلا عليك وغيره المتفضل

وأنشدني أبو يعقوب الأديب

ذهب الكرام فأصبحوا أمواتا   ورقة تطير به الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم   بسوى نبات الصالحين نباتا
وبقيت في خلف أحاذر شره   وأخاف فيه من الصديق بياتا

(وقال آخر)

ذهب الناس وانقضت دولة النا … س فكل الا القليل الكلاب
غير ان الوجوه في صور الانـ … ـس وأبدانهم عليها الثياب
لست تلقى الا بخيلا كنوبا … بين عينيه للإبليس كتاب
إن من لم يكن على الناس ذئباً … أكله في ذا الزمان الذئاب

وقال الشاعر

ذهب الذين فضولهم معلومة … ولهم اذا قحط الزمان جفان
ذهبوا فليس لهم نظير واحد … اذ لا ترام لا أبالك كانوا
لم يبق من أهل الفضائل والنهى … الا فلان باسمه وفلان

وقال الشاعر

ذهب الذين عليهم وجدي … وبقيت بعد فراقهم وحدي
سلف مضى وبقيت بعدهم … وكذاك يذهب من بقي بعدي

هذا ما يقوله الشعراء في كل زمن سواء كان ما قبله شرا منه أو خيرا منه فلا يصح للمؤرخ ان يحتج بقولهم في تفضيل زمان على زمان لان الدليل مشترك الإلزام

•••

﴿ أيها المسلم ﴾

ان كنت تترك الصوم لارتيابك في أصل الدين فمصيبتك أعظم المصائب ومرضك أثقل الامراض ويجب عليك بحكم العقل ان كنت تعقل ان تبحث قبل كل شيء عن علاج الكفر الذي كمن في قلبك بسبب الجهل . سل العلماء العقلاء عن الشبه التي عنت لك فاوقعتك في الريب ويسهل عليك ان تورد السؤال مورد البحث والاستفهام من غير تظاهر بأن الشبهة متمكنة من نفسك . واذا كانت شبهتك جائية من الفنون الطبيعية فإياك ان تسأل عنها من لا وقوف له على تلك الفنون فانه يزيدك مرضا ولا يصيب منك غرضا . واذا كان يصعب عليك قصد

والبنات ؟ ليل بهيم ، وفساد عظيم ، فلا تكونوا معاشر المسلمين أعوانا للشياطين على أبنائكم وأنصارا (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)

﴿ الحكم بالشريعة في السودان ﴾

ذكرنا في عدد سابق ملخص خطبة اللورد كرومر في أم درمان وانه حين وعد بالعدالة وقال ان الانكليز متعلقون بدينهم ويعلمون كيف يحترمون دين غيرهم وخاطب السودانيين بقوله « فلا يتعرض لكم أحد في دينكم على الاطلاق » سأله أحد المشايخ هل يتضمن هذا الوعد الجري على الشريعة والعمل بها؟ فقال اللورد نعم. ولا يصدق وعد اللورد وجوابه الا بأمرين اثنين أحدهما عدم ارسال أحد من دعاة النصرانية الى السودان بل عدم تمكينهم من الذهاب اليه فاذا وفد المبشرون بالانجيل من قسوس البروتستانت أو غيرهم الى السودان يدعون أهله الى دينهم فالوعد يكون مكذوبا قصد به الخداع والتغرير لأن الغرض الديني في هذا العصر لا يكون الا بالدعوة وهذا الغرض لم تسلم منه مصر فاذا سلمت منه السودان فلا مندوحة لنا عن القول بأن هذه السلامة نعمة يحق لبريطانيا أن تمنها على السودانيين ويحق عليهم أن يشكروها لها

وثانيهما ان تكون جميع الاحكام القضائية والمدنية بالشريعة الاسلامية الغراء والاحكام الشرعية لا تكون صحيحة ونافذة الا اذا كانت تولية القضاء من جانب خليفة المسلمين وامامهم الاعظم أو من مأذونه وقد صرح اللورد في خطبته بأن الذي يؤسس المحاكم ويولي القضاة هو اللورد كتشنر وان الموظفين من الانكليز هم الذين يقيمون الاحكام في كل مركز من السودان فأنى لهؤلاء الانكليز معرفة الشريعة الاسلامية ؟ ومتى كان اللورد كتشنر خليفة على المسلمين أو مأذونا بتولية القضاء من الامام الاعظم ؟ ؟ واذا لم يكن هذا ولا ذاك فما معنى جوابه للشيخ بنعم . ان وعده يتضمن الجري على الشريعة الا اننا لم نفهم لهذا معنى ولم نتصور اذهاننا كيف يكون صادقا والذي يتبادر الى الذهن ان الوعد بالحكم بالشريعة واحترام الدين في السودان

يكون كالوعد السابق بأن السودان كله للحكومة الخديوية كمصر وان بريطانيا العظمى تساعد مصر على قطع دابر الثوار الخارجين وارجاع البلاد اليها . . . أو كالوعد بعد الفتح بأن البلاد السودانية ستكون مشتركة بين مصر وانكلترا لان الثانية ساعدت الاولى على الفتح وشريعة العدل تقضي أن من يساعد أحدا في شيء يكون شريكه فيه وان كان في مساعدته متبرعا والمساعد (بفتح العين) هو صاحب الشيء وصاحب العمل ويقدر على القيام من دون مساعدة ثم تفسير هذه المشاركة بأن صاحب الملك والعمل ليس له في الشركة شيء الا الانعام عليه بلفظه « شريك » بشرط ان لا يملك في المشترك فيه قولا ولا عملا

﴿ بغداد والتجاره ﴾

لحضرة الفاضل صاحب الامضاء

قراء (وكيل) يعرفون لما شرفت به هذه المدينة من قديم الزمان حتى انه لم يكن يوجد لها نظير في المدائن الشرقية لا سيما في ما حوته من الفضل وحازته من الرونق والبهاء تشهد به آثارها الباقية الى الان ومما يزيد الشهرة فيها ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره وأفاض علينا بره فبهذا فاقت على أمثالها من البلاد الشرقية حتى ان جميع المسلمين من أنحاء الكرة الارضية يأتون لزيارته أفواجا أفواجا ويتبركون بزيارة قبره الشريف فمن مثل هذه البقعة المباركة التي جذبت قلوب المسلمين اليها لأجدر بتجارها أن يساعدوا الزوار والسكان فيما يحتاجون اليه من أمورهم الدنيوية وما أقصده من هذا هو ان تجار بغداد يلزمهم أن يهتموا في تأسيس فابريقات كما اهتم اخوانهم في الاستانة ليتمتع البغداديون بحاصلات بلادهم ويتمول التجار من حاصلات أوطانهم

فما هذا الكسل الذي اخبرنا به مكاتب جريدة وكيل القراء في بغداد فقد كتب ان التجار يرسلون الصوف في كل سنة بمقدار ملايين جنيهات الى لندرا ومارسيليا و بعد نسجه فيها يرجع البلاد فيبيعه هؤلاء التجار بأثمان غالية جدا للوطنيين والظاهر ان البغداديين اذا اهتموا بتأسيس الفابريقات يكون ذلك سببا لمعيشة الفقراء

المساكين وعونا لهم برخص الملابس ولا يخفى ان كل ما ينتفع به الصناع في لندرا وماريسيليا يعود ذلك على أهلها فهذا العمل انفع الاعمال للبلاد لانه يضعف ثروة التجار ويقوي همة أهل الديار

أفلا ينظر البغداديون الى سكان أور با كيف تغلبوا على البلاد الشرقية وتملكوا عليها بتأسيسهم الفابريقات ورواج تجارتهم مع كثرة المصنوعات فقلما يوجد بيت خال من مصنوعاتهم ومجلس عار عن مفروشاتهم حتى ان الخيط والابرة والأدوات التي يحتاج اليها الانسان في كل حين كل ذلك من مصنوعاتهم وجلها من عمل فابريقاتهم ومع ذلك فانها متقنة الصناعة ورخيصة القيمة

فعجبا لقوم يعجز افرادهم عن تحصيل لوازم المعيشة ويحتاجون في ذلك الى قوم دون قومهم فهذه والله اسباب الانحطاط فيا لها من مصيبة

حافظ عبد الرحمن المتدي

(المنار) صاحب هذه الكتابة هو المكاتب الخصوصي في القاهرة لجريدة وكيل الغراء التي تصدر في بلدة امرتسر (بنجاب) والمذكور ان مكاتب هذه الجريدة في بغداد خاطبنا بواسطته ورغب الينا واليه في نشر مقالة في الترغيب بانشاء المعامل «الفابريقات» الصناعية الوطنية خدمة للبلاد وقد أجاب هو الطلب بهذه المقالة الوجيزة وسنكتب نحن ايضا في الموضوع ان شاء الله تعالى

﴿ القضاء المبرم على السودان ﴾

جاء في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) ما نصه :

﴿ وفاق ﴾

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجناب العالي خديو مصر بشأن إدارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة

الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز والجناب العالي الخديوي

وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة

وحيث انه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الاداري والقانوني الآنف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل

وحيث انه تراآى من جملة وجوه أولوية إلحاق وادي حلفا وسواكن إدارياً بالاقاليم المفتتحة المجاورة لها

فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو

(المادة الأولى) تطلق لفظة السودان في هـذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي

أولاً الأراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو

ثانياً الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً الأراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعدا

(المادة الثانية) يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معا في البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط

(المادة الثالثة) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء

على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية

(المادة الرابعة) القوانين وكافة الأوامر واللوائح التي يكون لهـا قوة القانون المعمول به والتي من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهـذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسري مفعولها على جميع انحاء السودان أو على جزء معلوم منـه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمنا تحوير أو نسخ أي قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة

وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هـذا القبيل الى وكيل وقنصـل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار حكومة الجناب العالي الخديوي

(المادة الخامسة) لا يسري على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعدا الا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

(المادة السادسة) المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط الـتي بموجبها يصرح للاوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول

(المادة السابعة) لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضي المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الأراضي المصرية الا أنه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من مواني ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجاري تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ، ويجوز أن

تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن

(المادة الثامنة) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

(المادة التاسعة) يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(المادة العاشرة) لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة به قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(المادة الحادية عشرة) ممنوع منعا مطلقا ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراآت اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

(المادة الثانية عشرة) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها

الامضاآت

تحريرا بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ «كرومر» «بطرس غالي»

(المنار) الخلاصة ان السودان أصبح وأمسى مستعمرة انكليزية باقرار الحكومة المصرية رسميا واقرار الدولة العثمانية سكوتا «ان سكتت بحجة انتظار الفرص أو غيرها من الاحوال التي تراها تضيع فيها حقوقها» ولمصر فيه شركة لها منها الراية التي ترفع بجانب الراية الانكليزية وعليها ان تقدم الاموال لإدارة السودان والعساكر لحفظه تحت السلطة الانكليزية. فهكذا تقضي القوة على الضعف وهكذا يسود العلم على الجهل. فلتنتقل الحكومات الاسلامية من النوم الى الموت حتى لا يبقى لها عين أو أثر ولتعتقد الشعوب الاسلامية ان لاقوام لها ولانهوض الابحكوماتها التي هي أشد بلاء عليها من أعدائها أو لتنهض الى العمل بنفسها مقاومة لحكامها قبل الاجانب والله لا يضيع أجر العاملين

﴿ كيفية انتشار الاديان ﴾

رسالة نفيسة صنفها صديقنا الكامل والكاتب الفاضل صاحب العزة رفيق بك عظم « زاده » من أمراء القطر السوري . وقد قسمها الى خمسة فصول . الفصل الاول في حاجة البشر الى الاجتماع وبيان ان دعامته الدين . الفصل الثاني في ترقي الشرائع بترقي الانسان . الفصل الثالث « القوة في الشرائع » الفصل الرابع الجهاد في الشرائع الالهية . الفصل الخامس كيفية قيام الشرائع وانتشارها . وسننقل منها في الاعداد التالية نبذا يتبين منها عظيم فائدتها ان شاء الله تعالى وقد طبعت في مطبعة جريدة الاسلام في مصر



﴿ الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ﴾

كتاب يؤلفه وينشره تباعاً حضرة الأديب النبيل أرابي أفندي أبو العز وقد طبع في هذه الايام الجزء الثالث منه وهو في تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جرى فيه على النهج الحديث في الترتيب والتقسيم وأكثر فيه من الشعر لانه ديوان العرب ومظهر أفكارهم وأدبهم حتى صار الكتاب أشبه بالأدب منه بالتاريخ وذلك مما يستميل الى مطالعته وقد طالعنا منه « الفصل الرابع — في أخلاق العرب » فانتقدنا عليه انه لم يذكر فيه ما كان فاشيا فيهم قبل الاسلام من الاخلاق المذمومة فعساه يستدرك ذلك بذكر أخلاق العرب بعد الاسلام والمقابلة بين الحالين فوظيفة المؤرخ بيان الحقيقة محمودة كانت أو مذمومة والكتاب يطلب من حضرة مؤلفه ومن مكتب الحاج محمد حجاج في مصر فنحث على اقتنائه ونشكر مصنفه على اجتهاده في خدمة هذا الفن المفيد